بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

شرح دعاء(16)«اللَّهُمَّ أَعِنّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»

اللقاء الثاني

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

يُعدّ الدعاء من أعظم ما يربط العبد بربّه، فهو روح العبادة وجوهرها، وبه يستشعر المؤمن فقره إلى الله وغناه سبحانه عنه. ومن الأدعية الجامعة العظيمة التي كان يوصي بها محمد -ﷺ- قوله: "اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك".

هذا الدعاء القصير في ألفاظه، العميق في معانيه، يجمع أصول السير إلى الله؛ فهو اعترافٌ ضمنيّ بأن العبد لا يستطيع أن يذكر الله حقّ الذكر، ولا أن يشكره حقّ الشكر، ولا أن يعبده كما ينبغي، إلا بتوفيقٍ من الله وإعانةٍ منه. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّمه لأصحابه ليكون زادًا يوميًّا يلهجون به أدبار الصلوات، طلبًا للعون والثبات.

وعند تأمل هذا الدعاء، نقف مع ثلاث ركائز عظيمة: الذكر الذي يحيي القلوب، والشكر الذي يحفظ النعم ويزيدها، وحسن العبادة الذي يرفع العمل ويزكّيه. فكل كلمة فيه تفتح بابًا من أبواب القرب من الله، وتذكّرنا بأن الهداية والتوفيق بيده سبحانه وحده.

روى أحمد والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عنه- **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** -ﷺ- **قَالَ لَهُمْ : ((أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟)) قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ : ((قُولُوا : اللَّهُمَّ أَعِنّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)).**

قوله –ﷺ–: (أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟) هذا أسلوب تشويق وترغيب تكثر نظائره في أحاديث نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهذا نافع في تعليم الخير والدلالة عليه؛ ولهذا قالوا :"نعم يا رسول الله" ، قالوا ذلك عن شوق قام فيه قلوبهم إلى هذه الدعوة الموصوفة بهذا الوصف.

والمعنى: أتحبون أن تدعوا بدعاءٍ يكون فيه اجتهاد عظيم في الدعاء، وقد يُظن أنه سيذكر دعاءً كثيرا وألفاظا مطولة، فذكر هذه الثلاثَ كلمات، وعدَّ –ﷺ– هذا اجتهادًا في الدعاء، وهذا يؤكد لنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، وكان يعجبه من الأدعية الجوامع الكوامل ويرشد إليها صلوات الله وسلامه عليه، فحريٌّ بكل مسلم أن يحافظ على هذه الدعوة الموصوفة في هذا الحديث بأنها اجتهادٌ في الدعاء.

📃نحن فقراء إلى الله،ضعفاء، مساكين، عاجزين، لذلك علّمنا النبي–ﷺ– أن نسأل العون من القوي، الغني، القادر.

✍لأن الحقيقة التي نغفل عنها:

♦لسنا قادرين على العبادة إلا بتوفيق الله.

♦لسنا قادرين على الثبات إلا بإعانته.

♦قلوبنا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها.

✡كم من إنسان كان في طاعة ثم فتر! وكم من إنسان كان بعيدًا ثم قرّبه الله إليه!

📃قال ابن القيم رحمه الله: «ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِحِبِّهِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب. وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها».

الحاصل: أن هذه الدعوة دعوة عظيمة ينبغي أن يعتني بها العبد في أيامه ولياليه، وإذا كان من المعتنين بها فليبشر؛ فإنه من المجتهدين في الدعاء، فيواظب عليها دبر كل صلاة وأوقات تحري الإجابة؛ آخرِ الليل، وساعة الجمعة، وبين الأذان والإقامة، وغير ذلك من الأوقات، وتكون من دعواته التي يستكثر منها، لأنها من أعظم ما يكون في باب الاجتهاد في الدعاء.

وهي وصية المحب لمن أحبه ، فقد أوصى بها النبي -ﷺ- معاذا -رَضِيَ اللهُ عنه- بأسلوب فيه لطف وتشويق وترغيب، وكان السلف الصالح يتواصون بها؛ فعن أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ عَنِ الصُّنَابِحِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ))، فَقَالَ ((أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وقد أفاد هذا الحديث أن لهذه الدعوة مزيدَ خصوصية أدبار الصلوات، وأفاد الحديث الأول أنها أيضًا من الأدعية المطلقة التي يستحب الإتيان بها كل وقت، وكثير من الناس عنايتهم بها مقصورة على أدبار الصلوات.

قوله -ﷺ- **(قُولُوا : اللَّهُمَّ أَعِنّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)** ؛ يستحضر العبد في هذا المقام عجزه وضعفه، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنَّ من لم يكن له من الله عون على عمله لم تنهض نفسه للعمل ولم تقم بشيء من ذلك، لأنها ضعيفةٌ عاجزة ، ولهذا ما أحوج العبد أن يكون مُلحًّا على الله بهذا الدعوة كل وقت وبخاصة أدبار الصلوات، فإذا أديت الفريضة وشهدتها مع المسلمين في بيوت الله بتيسير من الله؛ استحضر في هذا الموطن هذا التيسير والإنعام، وتذكر أن هناك فرائض أخرى مقبلة، فبادر إلى دعاء الله عقِب الفريضة ودبرها أن يعينك على أداء ما يأتي كما أعانك على أداء هذا الذي قد أديته. فكان في غاية المناسبة أن تواظب دبر كل صلاة على «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، وكأنك تقول: يا الله كما أعنتني على هذه الصلاة ووفقتني للقيام بها فأعني على القادم

من الصلوات والآتي من العبادات ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فتلحُّ على الله سبحانه بهذه الدعوة دبر كل صلاة، وأيضًا تجعلها من دعائك المطلق في الأوقات المختلفة.

📁لماذا نطلب الإعانة؟ لأن النفس كسولة. والشيطان لا يمل. والدنيا مليئة بالمشاغل. إذا لم يعنك الله، فلن تعينه نفسك.

قوله: (اللَّهُمَّ أَعِنّا عَلَى ذِكْرِكَ) أي: أعنا على المواظبة على الذكر وعلى كثرة الاشتغال به والمداومة عليه، ما كان منه ذكرًا مطلقًا أو ذكرًا مقيدًا بأوقات، وأن نكون من الذاكرين لك بالكثرة، كما قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}[الأحزاب:41]، وقال -ﷻ-: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الأحزاب:35].

📄وليس المراد بالذكر مجرد الذكر اللساني فقط، بل الذكر القلبي واللساني. وذِكره يتضمن: ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكر كلامه؛ وذلك يستلزم معرفته والايمان به وبصفاته كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده. فذِكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذِكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

✍الذكر حياة القلوب، قال الله -ﷻ-: { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }.

☜الذكر ليس كلمات تُقال باللسان فقط، بل حضور قلب، وشعور بمعية الله.

♦حين نقول: "سبحان الله" ونحن نستشعر عظمة ربنا العظيم...

♦حين نقول: "الحمد لله" نستشعر كل نعمة تحيط بنا...

♦حين نقول: "لا إله إلا الله" نجدد العهد ألا نعبد إلا الله، ولا نعتمد إلا عليه، ولا نستغيث إلا به...

✍وإذا شعرنا أحيانًا بقسوة في قلوبنا؟ السبب غالبًا هو الغفلة. والعلاج هو الذكر.

قوله (وشكرك) أي: وأعني على المداومة على شكرك على نعمائك وجميل آلائك وواسع فضلك وعطائك؛ فتطلب من الله المعونة على الشكر، لأن كثيرًا من الناس عند حدوث النعم تأتيه ملهيات كثيرة وشواغل عديدة تلهيهم عن شكر المنعِم سبحانه. فما أحوج العبد إلى أن يسأل الله دائمًا أن يعينه على

الشكر، ليكون من عباد الله الشاكرين. ويدخل في الشكر أن تُستعمَل نعم الله في طاعته؛ وألا تستعمَل فيما يسخطه ويغضبه .

وقد أمر الله في كتابه عباده بالشكر ونهاهم عن ضدِّه، وأثنى على أهله، ووصف به خواصَّ خلقِه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله وعطائه، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أنَّ أهلَه هم المنتفعون بآياته، ونوّع سبحانه دلالاته والحثَّ عليه. قال الله تعالى: {وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[النحل:114]، وقال تعالى:{وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}[البقرة:152]،وقال تعالى:{فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[العنكبوت:17].

وعلّق سبحانه المزيدَ بالشكر، والمزيدُ منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم:7] .

وأخبر سبحانه أنَّه إنَّما يعبدُه من شكَرَه، فمن لم يشكُرْه لم يكن من أهل عبادته؛ فقال سبحانه: {وَاشْكُرُوا للهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وأخبر أنَّ رضاه في شكره فقال تعالى: {وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}[الزمر:7].

وشكر لله سبحانه واجبٌ على كلِّ مسلم، وهو السبيل لبقاء النعم ودوامِها ونموها، كما أنَّ عدم شكر النعمة سببٌ لزوالها واضمحلالها، وقد قيل: «كلُّ شكرٍ وإن قلَّ ثمنٌ لكلِّ نوالٍ وإن جلّ»، فإذا لم يشكر المرءُ فقد عرّض النعمة للزوال، وقيل أيضاً: «الشكر قيدٌ للنعم الموجودة، وصيدٌ للنعم المفقودة»، وكانوا يسمّون الشكر «الحافظ»؛ لأنَّه يحفظ النعم الموجودة، و«الجالب»؛ لأنَّه يجلب النعم المفقودة.

كم من نعم نعيش فيها ولا نشعر بها! نستيقظ فنجد أجسادنا سليمة. نأكل ونشرب بأمان. ننام دون خوف. لو فقد الإنسان نعمة واحدة لعلم قدرها.

الشكر ليس قول "الحمد لله" فقط، بل أن تستخدم النعمة فيما يرضي الله.

العين تشكر حين تُغضّ عن الحرام.

♦اللسان يشكر حين يبتعد عن الغيبة.

♦المال يشكر حين يُنفق في الخير.

قوله: (**وحسن عبادتك**) لم يقل وعبادتك؛ لأن العبادة لا تكون مقبولةً إلا إذا اتصفت بالحُسن ، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[هود:7]، وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[الملك:2] فلا بد أن يكون العمل متصفًا بالحُسن ليكون مقبولًا عند الله –ﷻ–.

وقد قال العلماء رحمهم الله: لا يكون العمل حسنًا إلا إذا اجتمع فيه وصفان: أن يكون لله خالصًا، وأن يكون لسنة النبي –ﷺ– موافقًا؛ لأنه إن لم يكن خالصًا رد على صاحبه ولم يقبل منه، كما في الحديث القدسي ((قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ))، وإن لم يكن موافقًا لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام رُدَّ على صاحبه ولم يُقبل منه، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((من عمل عملًا ليس عليه أمرِنا فهو رَدٌّ)) أي: مردودٌ على صاحبه غيرُ مقبول منه.

فسؤال الداعي المعونة على حسن العبادة يتضمن سؤال الله الإخلاص فيها والتوفيق لإصابة السنة.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: {ليَبلوكم أيُّكم أحسن عملاً}: «أخلصه وأصوبه»، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة».

وقد جُمع بين هذيْن الأصلَيْن في آياتٍ؛ منها الآيةُ الَّتي خُتِمَتْ بها سورةُ الكهف، وهي قول الله – سبحانه وتعالى –: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)}.

وأحوال أعمال الناس مع هذين الأصلين أربعة:

الحالة الأولى: عمل خالص لله موافق لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا وحده هو الذي

يوصف بالصالح، وهو المقبول.

⭕**الحالة الثانية**: عمل خالص لله لكنه ليس على وفق سنة رسول الله -ﷺ-، وهذا يكثر عند المتعبِّدة بالأهواء والبدع؛ فعندهم إخلاص للمعبود لكنهم لا يتّبعون الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما يعبدون الله بأمور يستحسنونها، وقد قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}[الكهف:103-104].

❑ **والحالة الثالثة**: أن يكون العمل موافقا للسنة لكنه لا يكون خالصاً لله، وإنما يكون فيه الرياء أو السمعة أو إرادة الدنيا بالعمل. وقد جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج يوماً على الصحابة وهم يتذاكرون قال: ((ما تذاكرون؟)) قالوا: نتذاكر فتنة المسيح الدجال، قال ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟)) قَالَ قُلْنَا بَلَى، فَقَالَ: ((الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ))؛ فهو يصلي ويزيّن صلاته لكن ليس لله، وإنما لما يرى من نظر رجل إليه، فقد يكون العمل على السنة في هيئته وصفته ولكنه لا يكون خالصًا لله، وهو بهذا افتقد شرطًا أساسيا للقبول.

❑ **الحالة الرابعة**: أن يكون العمل ليس خالصًا لله ولا أيضا على سنة رسول الله -ﷺ- ؛ بأن تكون العبادة محدثة والمتقرب بها إليه غير الله تبارك وتعالى.

✍ليس المطلوب كثرة العمل فقط، بل إحسانه. قد يصلي الإنسان ركعتين بخشوع ترفعه درجات، وآخر يصلي عشرات الركعات وقلبه غافل.

🗀حسن العبادة يعني: إخلاصًا لله. حضور قلب. اتباعًا لسنة النبي ﷺ.دوامًا ولو كان قليلًا. قال ﷺ: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل".

🗏الدنيا قصيرة. والأيام تمضي سريعًا. وما بيننا وبين القبر إلا لحظة. السعيد من وُفِّق للطاعة قبل فوات الأوان. السعيد من رقّ قلبه قبل أن يُحمل على الأكتاف.فلنرجع إلى الله. فلنجدّد التوبة. فلنتمسك بهذا الدعاء العظيم.

اللهم أعنّا على ذكرك وشـــكرك وحســـن عبادتك. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا. اللهم ارزق قلوبنا خشوعًا، وألسنتنا ذكرًا، وأعمالنا إخلاصًا. اللهم اجعل أعمالنا كلها لك خالصة، ولسنة نبيك محمد – ﷺ– موافقه، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.